ورغم فشل الثورة العربية في تحقيق اهدافها فانها تبقى تلك الثورة التي عبرت عن أماني الشعب العربي ممثلاً باحزابه وجمعياته التي قاومت سياسة الاتحاديين العثمانيين ومحاولاتهم اليائسة لطمس معالم الشخصية العربية وتراثها الاصيل وتظل الرافد الغزير لانبات بذور تلك الثورة.

في العاشر من حزيران ١٩١٦م اطلقت رصاصة الثورة الاولى معلنة بدءها من اجل التحرير والوحدة. وقد ابتدأت المعارك بين الثوار العرب وخصومهم العثمانيين في الخامس عشر من حزيران قرب المدينة المنورة.

ويمكن اجمال اسباب الثورة فيما يلي:

١- المظالم التي الحقت بالشعب العربي نتيجة استبداد الحكام العثمانيين وبخاصة اعضاء جماعة الاتحاد والترقي الذين تولوا السلطة بعد انقلاب ١٩٠٨م وعزل السلطان عبدالحميد الثاني، وسوء حكمهم وحقدهم ومحاولاتهم المحمومة لطمس ثقافة العرب ولغتهم وترويجهم لسياسة التتريك والطورانية.

٢- رغبة الثوار العرب في وضع اماني الشعب العربي في التحرر والاستقلال والوحدة العربية موضع التنفيذ بعد ان طال امد الاحتلال والتجزئة.

٣- ارادت الثورة استعادة ما للعرب من حق مغتصب والعمل من اجل بناء الكيان السياسي العربي المستقل على الارض العربية.

٤- طموح الشريف حسين في قيادة الدولة العربية المستقلة وتجديد الخلافة الاسلامية.

٥- فتح جبهة جديدة ضد العثمانيين بقصد اضعافهم من جهة والتعاون مع كتلة الوفاق لما فيه صالح الامة العربية من جهة ثانية، فقد كان الشريف حسين وانجاله وبعض قادة الحركة العربية آنذاك حسني النية بأهداف كتلة الوفاق وخاصة بريطانيا وذلك بحكم تكوينهم الاجتماعي وعدم ادراكهم للطبيعة الحقيقية للاستعمار.

أما الاسباب التي عجلت بقيام الثورة وتقديمها لموعدها فهي:

أ- اعدام جمال باشا السفاح للمناضلين العرب قادة الجمعيات العربية في دمشق وبيروت، فكانت هناك خشية شديدة من كشف العلاقة بين هؤلاء المناضلين وقيادة الثورة الامر الذي يؤدي الى اجهاض الثورة قبل اندلاعها.

ب- ارسال العثمانيين قوة عسكرية بقيادة خيري بك الى المدينة المنورة لتعمل بالاتفاق مع بعثة فون ستوزنجن الالمانية لدعم سلطة العثمانيين في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب، وقد خشي الشريف حسين من قيام تلك القوة بالزحف على مكة المكرّمة لعزله والتخلص منه قبل اعلان الثورة.

جـ- وصول فخري باشا وكيل قائد الجيش العثماني الرابع الى المدينة المنورة لتولي القيادة العسكرية هناك بأمر من جمال باشا تحسباً لاي طارئ وقد اشتهر هذا القائد بقيادته العسكرية الجيدة، الامر الذي قد يعرض الثورة الى الخطر.

د- رغبة الشريف حسين وقادة الثورة الاخرين في استثمار السخط الذي عم الشعب العربي على العثمانيين ومجازرهم ضد المناضلين العرب، بالشكل الذي يخدم اهداف الثورة العربية وتطلعاتها المشروعة.

احرزت العمليات العسكرية للثورة العربية ضد القطعات العثمانية في مدن شبه الجزيرة العربية خاصة مكة المكرمة وجدة نجاحاً منقطع النظير الامر الذي اربك اوضاع القوات العثمانية تماماً، وغنم الثوار قطعا كثيرة من اسلحة الجيش العثماني فضلا عما كبدوهم من خسائر في الارواح والاموال ناهيك عن الاسرى. واصبحت المدن الرئيسة في الحجاز بيد الشريف حسين ما عدا المدينة المنورة.

رداً على الثورة العربية وتولي الشريف حسين قيادتها العليا اصدرت حكومة الاتحاديين التي كان يسيطر عليها (انور باشا، وطلعت باشا، وجمال باشا) امرها بعزل الشريف حسين وتعيين الشريف علي حيدر اميراً على مكة المكرمة بدلاً منه، وكان هذا موالياً للاتحاديين الا انه فشل في الوصول الى مكة المكرمة وان كان قد وصل الى المدينة المنورة محتمياً بفخري باشا قائد القوات العثمانية فيها والذي تسلم امراً من جمال باشا بالزحف على مكة المكرمة لاخماد الثورة. لكن الثوار احرزوا بعض الانتصارات. فبعد ان حرروا جدة في ١٦ حزيران ١٩١٦م حرروا ينبع ورابغ في ١٧ تموز ١٩١٦م ثم مدنا اخرى في منتصف آب ١٩١٦م. وفي ايلول حرروا الطائف وبعد مضي ثلاثة اشهر على اعلان الثورة اصبح الموقف في الحجاز كما يلي:

١- بلغ عدد الاسرى العثمانيين ستة آلاف من مختلف الرتب مع اسلحة وعتاد لفرقة عسكرية.

٢ـ قطعت المواصلات بين القوات العثمانية الرئيسة في سوريا وبين الفرق العثمانية الثلاث المرابطة في عسير واليمن، الامر الذي ادى الى ايقاف التقدم العثماني الالماني في المركز الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وجنب عدن مفاجأة الاستيلاء العثماني عليها.

٣ـ حالت الثورة دون امتداد الاضطرابات في وجه كتلة الوفاق في افريقيا، وهو ما كلفت به فرق خيري بك. وبعثة ستورمجن العسكرية الالمانية بالسعي لتحقيقه.

٤ـ نجحت الثورة العربية في اجبار الدولة العثمانية على حجز جزء من قواتها في شبه الجزيرة العربية بعيدا عن جبهات القتال الرئيسة ولا سيما الجبهة الروسية.

لقد تعزز موقف الثورة بقدوم بضع مئات من الجنود العرب النظاميين من معسكرات الاسر البريطانية في مصر والهند متطوعين للقتال في سبيل تحرير ارضهم العربية وقد بدأ وصول هؤلاء الجنود ومعهم عدد من الضباط بعد اعلان الثورة. فضلا عن ترك عدد غير قليل من الضباط والجنود العمل في صفوف القوات العثمانية والتحاقهم بقوات الثورة يدفعهم الى ذلك العامل المتأجج في صدورهم التواقة للتحرر.

وفي ايلول ١٩١٦م وصل الى الحجاز عزيز علي المصري فعينه الشريف حسين رئيسا لاركان حرب جيش الثورة، وبعد اعلان قيام الدولة العربية في الحجاز في تشرين الثاني ١٩١٦م عين وزيرا للحربية. وكان يعاون عزيز علي عدد من الضباط العرب اكثرهم من العراق وهكذا جسدت الثورة التلاحم في العمل من اجل تحرير الامة العربية ووحدتها.

استمر زحف الثورة على المعاقل العثمانية في الحجاز فسقطت العقبة في تموز ١٩١٧م ودرعا في ايلول ١٩١٨م ثم دمشق في ١ تشرين الاول ١٩١٨م. ولم تسقط المدينة المنورة تماما. ولم تسلم حاميتها للثوار العرب الا في ٧ كانون الثاني ١٩١٩م.

لم تحقق الثورة اهدافها بعد ان خانها الانجليز. الا ان انفجارها كان ذا اثر كبير في اوساط الشعب العربي. خاصة وانها انطلقت في وقت كان فيه السخط على الحكام الاتراك عاما شاملاً بسبب قسوتهم ومطاردتهم لقادة حركة التحرر العربية الذين كانوا ينادون بالحرية والوحدة لامة العرب. وكان للشبان العرب المثقفين وخاصة من اعضاء

الجمعيات العربية القومية دور كبير في ذلك لما كانوا يبثونه من الدعوة الى تأييدها والالتحاق بها وبث اخبارها بين الناس والوقوف ضد الدعاية العثمانية المضادة لها. ان التأييد الكبير للثورة ينفي وقوف بعض العرب ضدها لارتباطاتهم المصلحية مع العثمانيين كما اتخذ البعض الاخر موقف المتفرج لعدم تبلور الفكرة القومية عنده، فضلاً عن ان البعض الثالث سيطرت عليه فكرة الوحدة الاسلامية الدينية بدلا من الوحدة العربية القومية.

اما أبرز نتائج الثورة العربية فهي :

١ـ ايقظت الشعور العربي بشكل فعال ومؤثر فدفعت العرب الى العمل لبناء تراثهم الحضاري الذي انحسر بسقوط الدولة العربية الاسلامية على ايدي المغول في سنة ١٢٥٨م. حين تفتت تلك الوحدة، وظهرت على انقاضها كيانات سياسية منفصلة.

٢ـ ابرزت القضية العربية الى حيز الوجود في ميدان السياسة الدولية وانتزعت اعتراف الدول الكبرى بها.

٣ـ جاء تكريس شرعية المطالب العربية بناءً عمليا للتوجه العربي بعد ان كان حديثا في المجالس والاندية السرية. فقد تبلور هذا التوجه كعقيدة حية متطورة تتفاعل مع الاحداث لتكتسب الخبرة والقوة والدعم والاحتضان.